

لطفى السيد

١٥ يناير ١٨٧٢ - ٦ مارس ١٩٦٣

مقدمة

هذا الكتيب الصغير تقدمه مجموعة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة إلى الزملاء في جامعة القاهرة والجامعات المصرية الأخرى و هو أيضا رسالة للطلاب و الطالبات عن أهمية استقلال الجامعة. و ذلك بمناسبة الاحتفالية التي تنظمها مجموعة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة بالاشتراك مع الجامعات الأخرى في ذكرى استقالة لطفى السيد من رئاسة جامعة القاهرة دفاعا عن استقلال الجامعة.

تحية إلى لطفى السيد أول رئيس للجامعة المصرية الأم و رائد الدفاع عن استقلال الجامعة بالقول و العمل.

@@@@@@@@

تعتبر الجامعة في العصور الحديثة من الأركان الأساسية لتقدم الأمم. فمنها تخرج الأفكار التي توجه مسيرة الأمة على طريقها إلى التقدم، و منها تخرج البحوث العلمية التي تزود الأمة بكل ما هو جديد و مبتكر. و الجامعة هي التي تصوغ عقول و أفكار الشباب بما تدريبهم و تعلمهم، و تراكمات المعرفة التي

يدخرها الشباب خلال دراسته الجامعية هي صانعة التقدم الصناعي و الاقتصادي ومستقبل الأمة كلها.

و قد أجمع المفكرون عبر التاريخ و حتى هذه اللحظة على أن استقلال الجامعة هو عماد و أسس كيان الجامعة، و إذا فقدت الجامعة استقلالها لن تصبح قادرة على أداء وظيفتها الثقافية أو التعليمية، و سوف تتوقف عن الابتكار و الإبداع، و هما جوهر رسالة الجامعة التي عليها أن تبتكر و تبذل و تخترع من ناحية، و من الناحية الأخرى عليها أن تصيغ عقولا مفتوحة لشباب الدارسين ليكونوا قادرين على قيادة الأمة في المستقبل بفكر متجدد و عقلية تستوعب الجديد و تغيره و تطوره. و لهذا فإن الجامعة إذا فقدت استقلالها فقدت قيمتها و أصبحت مدرسة ثانوية أو معهد يدرس للطلبة في مرحلة سنوية مختلفة، و يلقت الطلبة بعض المعلومات التي قد تساعدهم على الحصول على وظيفة روتينية مما هو مغاير لرسالة الجامعة و الهدف من وجودها.

و قد كان لطفى السيد، أول رئيس لجامعة فؤاد الأول (القاهرة)، واعيا بذلك و فاهما لوظيفة الجامعة. و لم يكن وحده المنقهم لذلك، بل كان هناك جيل من كبار السياسيين المثقفين في مصر الذين آمنوا باحترام استقلالية الجامعة، فدافعوا عنها ضد دعوة بعض السياسيين الرجعيين الذين أرادوا امتحان استقلال الجامعة. و لم يكن لطفى السيد يتغنى بكلمة الاستقلال فقط، و إنما كان يحافظ على هذا الاستقلال بقوة، فهو القائل في خطاب ألقاه في كلية العلوم، عندما كان مديرا للجامعة: "إن التعليم الجامعي أساسه حرية التفكير و النقد و استقلال الرأي وليس الحفظ و النقل لكل ما يقال، كذلك التربية الجامعية قوامها حرية العمل التي لا تحدها إلا القوانين العامة، و داخل الجامعة لا تحدها إلا قواعد السلوك و التقاليد الجامعية و رعاية المحبة و التضامن بين أعضاء الوحدة الجامعية. و التربية الاستقلالية هي شرعنا منذ أول عام انشئت فيه الجامعة".

و تاريخ انشاء الجامعة هو سلسلة من كفاح المفكرين و السياسيين المصريين الذين صمموا على انشاء الجامعة و الحفاظ على استقلالها، و يعتبر على مبارك أول من فكر في انشاء الجامعة، و لكن الدور الأكبر كان لمصطفى كامل الذي قاد حملة كبرى للدعوة إلى ذلك، و قام بحث الأغنياء على التبرع لها. و قد تبرعت الأميرة فاطمة اسماعيل ابنة الخديوي اسماعيل بالأراضي التي أقيمت عليها الجامعة و المدينة الجامعية، بالإضافة إلى مصاعها الذي باعته لصالح الجامعة الوليدة. و كانت دعوة مصطفى كامل في مضمونها تدعو إلى أن تكون الجامعة مستقلة، و أن يدخلها كل من يقيم على أرض مصر، و أن تكون رحبة لكل الديانات، و أن يكون الاكتتاب لها من كل أفراد الشعب و لو بقروش قليلة. و استشعر سعد زغلول الزعيم الشعبي و رجل الدولة أهمية أن تكون الجامعة مستقلة بعيدا عن الأهواء السياسية و التدخل الحكومي في إدارتها. و شارك في الدعوة للجامعة مجموعة كبيرة من الرموز المصرية من بينهم قاسم أمين و محمد فريد، فكانت الجامعة الأهلية التي أنشئت عام ١٩٠٨ واحة من الديمقراطية، إذ كان الأساتذة ينتخبون العميد و الوكيل بالاقتراع السري، و كان مجلس الكلية يحدد المناهج و يرشح من يقوم بالتدريس و يحدد النظام التأديبي للطلاب، و كانت المناهج كلها تحرض على تكريس الفكر العلمي و مناهج البحث العلمي الحديث، و تشجيع التفكير الحر للبحث عن الحقيقة العلمية. و قال سعد زغلول: "أن هذه الجامعة لا دين لها إلا العلم".

و في عام ١٩٢٢ قابل لطفي السيد الملك فؤاد الذي أخبره بأن الحكومة عازمة على إنشاء جامعة لتصبح الجامعة القديمة كلية فيها.

و في عام ١٩٢٣ حرر مجلس الجامعة الأهلية محضرا لتسليم الجامعة إلى الحكومة المصرية لتصبح جزءا من الجامعة الحكومية، و حرر عقد الاتفاق لطفي السيد الذي كان من نقاطه الكثيرة أن لا تخرج الجامعة الجديدة عن ضمان

حرية التعليم و استقلاله، و أن تكون الجامعة المصرية محتفظة بشخصيتها المعنوية و تدير شؤونها بنفسها بكيفية مستقلة كما هو الحال في جامعات أوروبا. و في عام ١٩٢٥ افتتحت الجامعة الحكومية و ضمت الجامعة الأهلية للحكومية، و تعهدت الحكومة بالالتزام بالاتفاق الذي تم بين لطفي السيد و الملك أحمد فؤاد (والذي كان رئيسا للجامعة الأهلية حين كان وليا للعهد). و اتفق على أن يستمر الدكتور طه حسين أستاذا بكلية الآداب لأنه حالة خاصة. و في افتتاح الجامعة الحكومية خطب لطفي السيد مركزا على استقلال الجامعة التي لا يجب أن يتدخل أحد أيا كان في حريتها في التفكير و البحث.

و قد عبر الدكتور على مشرفة عن رأيه في الجامعة الجديدة قائلا: إن الجامعة ليست مدرسة لتخريج الفنيين و المهنيين و إنما هي مكان لإحياء الروح العلمية و البحث العلمي. و نشر طه حسين مقالا في جريدة كوكب الشرق قائلا: لا ينبغي أن ننظر تعليما صحيحا منتجا من جامعة لا يتمتع رجالها بالاستقلال و الحرية التي تمكنهم من العناية بالعلم من غير خوف.

و كتب لطفي السيد عن رسالة الجامعة قائلا أنها يجب أن تكون أوسع مجالاً من أن تحد بحدود معينة، و عليها مهمة لرفي العلوم و الآداب في البلاد. و من رسالة الجامعة تربية شباب الأجيال القادمة تربية قوامها الحرية و نشر الثقافة العلمية و الأدبية و كذلك مساعدة التطور الاجتماعي بنشر الآداب و تجديد نظرة الناس للفنون الجميلة و الموسيقى. و يجب أن تكون الجامعة مكانا للتضامن القومي بين جميع فئات الشعب و طبقاته. و ليعلم الجميع أن رسالة الجامعة لا تقف عند إعداد موظفين للحكومة، و سوف تستقبل الجامعة الطالبات بجوار اخوتهن الطلبة.

استقالة لطفي السيد في ٩ مارس ١٩٣٢

وقد حرص لطفي السيد منذ توليه منصب مدير الجامعة على أن تكون بعيدة عن التأثيرات السياسية و الحكومية، و يقول في مذكراته أن وزارة المعارف اعتدت على استقلال الجامعة عندما نقلت طه حسين إلى ديوان الوزارة. و بالرغم من أن الوزارة لم تتجاوز القانون، إلا أنها جاوزت حدود التقاليد الجامعية، فاجتمع لطفي السيد مع رئيس الوزراء و اتفق معه كحل وسط أن يبقى طه حسين أستاذا بكلية الآداب و يترك العمادة، و لكن هذا الحل كان مصيره الرفض في اليوم التالي، إذ صممت الوزارة على نقل طه حسين فاستقال لطفي السيد، و هذا نص كتاب استقالته الذي حمل موقفه الثابت من قضية استقلال الجامعة.

هيليوبوليس ٩ مارس ١٩٣٢

حضرة صاحب المعالي وزير المعارف العمومية

أشرف بإخبار معاليكم أنني أسفت لنقل الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب إلى وزارة المعارف لأن هذا الأستاذ لا يستطيع فيما أعلم أن يعوض الآن على الأقل، لا من ناحية الدروس التي يلقونها على الطلبة في الأدب العربي ومحاضراته العامه للجمهور و لا من جهة هذه البيئة التي خلقها حوله و بث فيها روح البحث الأدبي. و أسفت لأن الدكتور طه حسين عين أستاذا في كلية الآداب تنفيذاً لعقد تم بين الجامعة الأهلية و وزير المعارف و أن نقل طه حسين على هذه الصورة بدون رضی الجامعة و لا استشارتها كما جرت عليه التقاليد المطردة منذ نشأة الجامعة. كل ذلك يذهب بالسكينة و الاطمئنان الضروريين لإجراء الأبحاث العلمية و هذا بلا شك يفوت علي أجل غرض عهدت إليه في

خدمة الجامعة. و من حيث أنني لا أستطيع أن أقر الوزارة على هذا التصرف الذي أخشى أن يكون سنة تذهب بكل الفروق بين التعليم الجامعية و أغيارها أشرف بأن أقدم لمعاليكم استقالتي من وظيفتي أرجو قبولها و تقبلوا فائق احترامي.

و أضاف لطفي السيد قائلاً بأن الوزارة ارتكبت ثلاثة مخالفات في حادث نقل طه حسين، الأولى خاصة باستقلال الجامعة و الثانية خاصة بمصلحة التعليم الجامعي و الثالثة خاصة بالعقد الذي أبرم بين الجامعة الأهلية و الجامعة الجديدة. و قبلت استقالة لطفي السيد و ترك الجامعة حتى عام ١٩٣٥ عندما عرض عليه العودة للجامعة، فوافق بشرط تعديل القانون بحيث ينص على أنه لا ينقل أستاذ منها إلى بعد موافقة مجلس الجامعة و عدل القانون و عاد لطفي السيد رئيساً لجامعة القاهرة.

و في عام ١٩٤١ قدم استقالته بسبب تدخل الحكومة و اتصالها بالطلبة و قال أن اتصال الحكومة بالطلبة يفضي دائماً إلى فقدان الإخاء الجامعي بينهم، و هو من أضر الأشياء على التربية الجامعية. فوافقت الحكومة على عدم التدخل و رجع عن استقالته حين أصدر رئيس الحكومة أمراً مشدداً بعدم اتصال الطلبة بالوزراء لأغراض سياسية و مكث فيها إلى أن تركها ليصبح رئيساً للمجمع اللغوي.

هذا هو تاريخ لطفي السيد المشرف في الحفاظ على الجامعة المصرية واستقلالها، و هو في هذا درس بليغ عميق المغزى لكل من شاء قدره أن يكون متصلاً بشئون الجامعات قائماً على تسيير شئونها، أو من أسانذتها المنوط بهم تربية أجيال جامعية جديدة.